الأثار الاجتماعية للتهريب بالفضاء الحدودي بالجنوب التونسي

Les effets sociaux de la contraband dans la zone frontalière du sud tunisien

الدكتور:حسين السعيدي *[1]
صفاقس تونس

تاريخ الارسال: 2024-01-17	تاريخ القبول : 2024-01-20	تاريخ النشر2024/01/23

ملخص

عرفت البلاد التونسية في السنوات الأخيرة تغيرات متسارعة مست جميع المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية دون استثناء، وهو ما دفع بالباحثين في العلوم الإنسانية بصفة عامة البحث عن العوامل والأسباب التي تدفع نحو مثل هذه التغيرات والظواهر الاجتماعية ،ولعل من بينها مثال ظاهر التهريب بالفضاء الحدودي بالجنوب التونسي وانعكاساتها الاجتماعية والثقافية على شباب وتلاميذ منطقة بنقردان، وليست هذه الظاهرة وليدة زمننا الراهن بل هي ظاهرة موجودة حتى قبيل الاستعمار الفرنسي وهي وسيلة اتخذتها القبائل الحدودية للهروب من التهميش والفقر (-التائب، عائشة، (2007) المناطق الحدودية بالمغرب العربي، ضمن كتاب "التنوع والتماثل «، أعمال الندوة الإقليمية اليونسكو، تونس 26.27.28 أفريل، إشراف عبد الوهاب حفيظ سلسلة العلوم الاجتماعية عدد28، سيرأس تونس) . فلجأوا الى المسالك البرية الوعرة لتهريب البضائع وأنتجوا لأنفسهم منوالا اقتصاديا خاصا بهم. وهو بالنسبة إليهم بمثابة المصعد الاجتماعي المهم والوحيد. بيد أنّه في السنوات الأخيرة تفاقمت تجارة كل الممنوعات في ظل غياب تنشئة اجتماعية متينة ومتماسكة. وانتشرت عدة ظواهر خطيرة وافدة تهدد تركيبة المجتمع التونسي ككل والمجتمع "البنقرداني" على وجه الخصوص كالانقطاع المدرسي والهجرة السرية والانتماء الي جماعات ومليشيات متطرفة.

الكلمات المفتاحية: التنشئة الاجتماعية، التهريب، المنطقة الحدودية، الانقطاع المدرسي

- Résumé

Ces dernières années, le pays tunisien a connu des changements rapides qui ont touché tous les niveaux politiques, économiques, sociaux et culturels sans exception, ce qui a incité les chercheurs en sciences humaines en général à rechercher les facteurs et les raisons qui poussent à de tels changements et changements sociaux. Phénomènes, et parmi eux peut-être l'exemple apparent de la contrebande dans l'espace frontalier du sud de la Tunisie et ses répercussions sociales et culturelles sur les jeunes et les étudiants de la région de Ben Guerdane. Ce phénomène n'est pas un produit de notre époque actuelle, mais plutôt un phénomène qui existait avant même le colonialisme français, et c'est un moyen utilisé par les tribus frontalières pour échapper à la marginalisation et à la pauvreté. Ils ont eu recours à des voies terrestres accidentées pour faire passer des marchandises en contrebande et ont créé leur propre puissance économique. Pour eux, c'est le seul ascenseur social important. Cependant, ces dernières années, le commerce de tous les articles interdits s'est aggravé en l'absence d'une socialisation forte et cohésive. Plusieurs phénomènes importés dangereux se sont répandus et menacent la structure de la société tunisienne dans son ensemble et celle de Ben Guerdani en particulier, tels que l'abandon scolaire, la migration clandestine et l'appartenance à des groupes et milices extrémistes.

مقدّمة

* Houcine.saidi.saidi@gmail.com

تهدف العلوم الإنسانية في مختلف تياراتها واتجاهاتها إلى استكشاف الدلالة الخاصة بالإنسان بالرغم من تنوع الثقافات وتعدد الأنظمة وتواتر التغيرات في المكان والزمان. فالحقيقة الإنسانية تشكل الهدف والغاية الأساسية في مختلف أوجه البحث الأنثروبولوجي. وقد استطاع الباحثون في علم الأناسة، خلال الفترات التاريخية لتطوره، تقديم تفسيرات قيمة لكثير من الظواهر على أكثر من صعيد: اجتماعي، وثقافي، وغيرهم. وقدم حلولا كثيرة لعدد من الإشكاليات، التي كانت بحاجة إلى أطروحات جديدة مغايرة لتلك التي يقدمها علم النفس أو علم الاجتماع وغيرها من العلوم الدارسة للظواهر المرتبطة بالوجود البشري وتطور المجتمعات الإنسانية، ومؤسسات التنشئة الاجتماعية على نحو شمولي وكلي. فهي بمثابة وعاء تحليلي وإطار يربط بين العناصر الثقافية والاجتماعية في المستوى غير النظامي، مع العناصر الأكاديمية النظامية التي تتصف بها العملية التربوية. والأنثروبولوجيا التربوية وسيلة لدراسة النظم التعليمية من وجهة نظر الأنثروبولوجيا الثقافية والحضارية، فتشمل بذلك تقريبا كل ما يحصله الشخص خلال حياته الاجتماعية والثقافية. وفي هذا السياق تؤكد لنا أعمال بيار بورديو في (كتابه "إعادة الإنتاج" سنة 1970.) في على متانة العلاقة بين الحياة الاجتماعية والميدان التربوي، ولكن رغم اعتماده على أسس التحليل البنيوي، إلا أنه عمل على تجاوزها ونقدها. ليبرز بذلك موقفه من الصراع العام بمقاربته للنظام التعليمي كمجال مرتبط بالنظام الاجتماعي ككل. وهنا يمكننا اعتبار كتابه "معاودة الإنتاج" فرصة طرح فيها تصوراته حول "الأبتوس" و"إعادة الإنتاج". (هو نسق من الاستعدادات المكتسبة التي تحدد سلوك الفرد ونظرته إلى نفسه وإلى العالم الذي يكتنفه،) حيث اهتم بدراسة العلاقات المتبادلة بين العمليات التربوية الجارية في المجتمع وبين النظام التعليمي المرتبط بتشكيلة اجتماعية معينة، وتأثير هذه الظواهر الاجتماعية على ما ذكرنا من نظم تربوية .

- الإشكالية:

انتشرت ظاهرة تجارة التهريب بالمناطق الحدودية بالجنوب الشرقي التونسي منذ قبل استقلال 1956، وهي استراتيجية اعتمدتها القبائل الحدودية الليبية والتونسية للتصدي للتهميش والهروب من الفقر الشديد،(بالطيب، محمد الناصر (1998)، بن قردان بين التاريخ والتراث، المطبعة الرسمية الجمهورية التونسية،) وشهدت هذه التجارة تغيرات في السنوات الأخيرة وانتقلت من تجارة موازية الي تهريب منظم بجميع أشكاله، وأدت الى انعكاسات اجتماعية واقتصادية وصحية على سكان الشريط الحدودي بصفة عامة ، من خلال فشل السياسات التنموية وانتشار البطالة في هذا الفضاء الحدودي مما نتج عنه بروز ظاهرة التهريب وهو ما ساهم ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، في عديد الآثار الاجتماعية والصحية والتربوية على شباب الجهة عموما، وعلى التلاميذ المراهقين خصوصا، فأضحى من المهم السير نحو فهم وتحليل الخلفيات الاجتماعية والثقافية والتربوية لهذه الظاهرة،(برنفكار، ليون(2012) LEON PERVINGUIREأسرار الحدود التونسية الليبية 1911 دراسة وترجمة الضاوي موسي ، مطبعة تونس قرطاج ، والعمل على فهمها فهما عميقا باعتماد مقاربة متعددة الأبعاد. فماهي الانعكاسات المباشرة الاجتماعية والتربوية لتجارة التهريب بالفضاء الحدودي، وهل من علاقة بين ظاهرة تجارة التهريب بالانقطاع المدرسي ببنقردان؟ وكيف نفهم طبيعة هذه العلاقة والأثار الناتج عنها؟ هذه الأسئلة تقودنا وجوبا لتسليط دائرة الضوء على مشكل ظاهرة الانقطاع المدرسي المبكر وعلاقتها بتجارة الحد؟ باعتبارها من القضايا الملّحة التي تطرح ذاتها باستمرار في الفضاء الحدودي بالجنوب التونسي وخاصة في منطقة بنقردان، حيث يتسبّب هذا النوع من النشاط في عديد الانعكاسات الاجتماعية والاقتصادية والتربوية، والتي ترتبط بشكل أو بآخر بعديد الأسباب السوسيولوجية، كالتنشئة الاجتماعية، وعدم التوافق بين الأسرة والمدرسة،

- أهمية الدراسة:

تتناول هذه الدراسة موضوع حارق بالنسبة للمجتمع المحلي حيث أصبحت هذه الظاهرة تمثل مشكلا يهدد حياة شباب الجهة وهي تجارة أقراص المخدرات وبعض السلع الأخرى الممنوعة وكذلك مدى نحولها إلى مصعد اجتماعي بالنسبة لعديد الشباب، وهو ما استوجب القيام بمقاربة تحليلية عميقة لفهم هذه الظاهرة وتفسيرها ومحاولة تقديم الحلول الناجعة التي يمكن للدولة اعتمادها للسيطرة على الظاهرة والحد منها

- الأسس النظرية للتفاعل الرمزي وسوسيولوجيا الانحراف

يعتبر التفاعل الرمزي امتداد فكريا للمدرسة السوسيولوجية بشيكاغو وهي تمثل تيار فكري سوسولوجي احتضنه قدماء علماء الاجتماع بجامعتها ، وهو أول قسم علم اجتماع في العالم : وانطلاقا من كتابات أهم المفكرين للتفاعل الرمزي مثال " جورج هربات ميد "وبلومر"ومانيز ومانزر" يمكن أن نحدد الأسس النظرية التالية :

1- يختلف الكائن البشري عن الكائن الحيواني بالعقل الذي يمنحه التفكير
2- الفعل الاجتماعي هو فعل تشاركي من خلال الفاعل الاجتماعي
3- من خلال التفاعل الاجتماعي يتعلم الفرد المعاني والرموز
4- تكون هذه الرموز أفعال لتفاعل لتعديل وتغير المعاني

يعتبر جورج هربرت ميد أحد ابرز المؤسسين لفكر الرمزي و قد درّس ميد في جامعة شيكاغو من سنة 1814 إلى سنة 1931 وكان يعتبر فيلسوف وليس بعالم اجتماع و قد تأثر ميد بالمذهب البرقماتي الذي يتصف بقبول الخبرة الإنسانية العادية كمنبع نهائي وامتحان أخير لكل معرفة وقيمة وقد حول ميد اعتماد جملة من أفكار المذهب البرقماتي وحاول تطويرها حيث يري هذا المذهب ،إن الحقيقة لا توجد هكذا في الواقع لكنها تبدأ مع وجود الناس في العالم وتفسيرهم لما يحدث ويركزون على أساس ما يرونه صالح لهم و إذا أردنا إن نفهم الفاعلين علينا أن نركز فهمنا لهم على أساس ما يقيمون به حاليا في العالم. فهو قطع مع التصورات السابقة في تحديد مفهوم التنشئة، فإن التنشئة هي عملية إبداع وخلق لأنها تسهم في تحديد هوية الفرد فكل فرد ينتمي إلى جماعة ما تكون هويته مرتبطة بذلك الانتماء إلى الجماعة فتبرز عملية التفاعل لـدى ميد بتقليد الآخرين المهمين أو المعممين هل أعرف ذاتي؟ أي عليا أن أتفاعل مع وهؤلاء ولي آراء نفسي عليا آن أتقمص أدوارهم واتبني رؤيتي من نظرتهم أليا، فالآخرين المهمين. مثال: الأب الأم والأخ...فالتنشئة الاجتماعية لدى ميد ضرب من المحاكاة لأنها مجموع العمليات و التفاعلات التي تشكل من خلالها الذات و من خلالها يصبح الإنسان كائنا اجتماعيا بحيث تتشكل هويته و يكتسب قيم الجماعة ومعايرها وثقافتها و خبرتها العلمية فأثمت نظريات اجتماعية خاصة منها مدرس شيكاغو التي فسرت عملية التنشئة هي عملية إكساب يشارك فيها الناشئ نفسه من خلال تفاعلاته مع الآخرين ومع الأشياء منذ طفولته المبكرة ومن خلال عمليات التواصل و التبادل اللغوي والرمزي بواسطة الأعمال والأفعال و الأنشطة التي ينخرط فيها الطفل فيشكل هويته الجماعية والفردانية فعملية التنشئة حسب جورج هاربرت ميد هي عملية إبداعية لا تتم بسلبية بل أن الطفل الناشئ يشكل هويته خلال تفعلانه الفردية والجماعية فكيف تتشكل الذات ؟ ويتحدث جورج هاربرت ميد عن الذات فيسميها le soi وتتكون من الأنا الذاتية le je والأنا الإخبارية le moi أما الأنا الذاتية وهي مجموعة الميولات الكيفية التي تستجيب بها الذات للقيم والضوابط والمعايير الاجتماعية و الأنا الإخبارية، فتأتي من أثر أداء الأدوار حيث يكشف الفرد في بداية أداء الأدوار نفسها من خلال الآخرين إي أن ذاته تتشكل من خلال لعبة الأدوار ويكتف أناه من خلال الأنا الاخر ومن خلال لعبة الأدوار في المجموعة (Goffman (Irving La mise en scène de la vie quotidienne ; Editions de Menu ite, 1973

فالدور هو مجموعة الأنشطة والمهام الذي يؤديها فردا ما ،بمركز ما ،فأداء الدور والهوية ولعبة الأنا هو ضرب من المحاكة التي تحدث عنها طارد وهنا نكتشف من خلال ما حللناه أن علاقة بين محاكاة أو فكرة التفاعل الرمزي هي علاقة تكامل وتلازم وذلك اثر رفض كل ما هو نفسي من قبل دوركايم و إرجاع الاعتبار إلي كل ما هو نفسي من قبل التفاعلية الرمزية وطارد. ويمكن القول بآن ميد يري المجتمع ما هو إلا حصيلة العلاقة المتفاعلة بين العقل البشري والنفس، ويرى أنه لا وجود للعقل أو لنفس خارج المجتمع لإنساني لأنهما متلازمان ومتفاعلان آما السلوك الفردي فيراه ميد عبارة عن انعكاسات لهذا التفاعل المستمر عقل ونفس ومجتمع. ومن هنا، يتمثل مضمون التفاعل في مختلف الدوافع والحوافز والضغوطات العضوية والنفسية التي تدفع الأفراد وتحركهم، بشكل من الأشكال، للتفاعل فيما بينهم، داخل سياق مجتمعي معين. ويتخذ هذا المضمون التفاعلي شكلا معينا، فالواقعية الاجتماعية الناتجة عن التفاعل الاجتماعي لا يمكن الفصل فيها بين مضمون التفاعل وشكله. وإذا كان مضمون التفاعل هو الحافز، أو المنفعة، أو المصلحة، أو الغاية، أو السبب...، فإن الشكل هو صيغة التفاعل وطريقته وهيئته الأدائية والإنجازية. وإذا كان إميل دوركايم يدعو إلى دراسة المجتمع دراسة تشييئية علمية وتجريبية، في ضوء مرتكزات المدرسة الوضعية الكلاسيكية، فإن جورج زيمل، على غرار المدرسة التفاعلية، يدعو إلى دراسة العلاقات التفاعلية بين الفرد والمجتمع؛ لأن الفرد، باعتباره فاعلا ذاتيا، له أهمية كبرى في التأثير في المجتمع إلى درجة تغييره، وإعادة بنائه من جديد.

- دور التهريب في بروز المشاكل الاجتماعية:

يمثل التهريب الخفي في الفضاء الحدودي بالجنوب التونسي أهم طرق جمع المال، وهو ما ساهم تكريس الفجوة الاجتماعية داخل المجتمع الواحد، حيث يعتمد بعض المهربين على المليشيات المتمركزة على الحدود لتسهيل مرور السلع الممنوعة وذلك لتعظيم المداخيل على حساب القواعد المنظمة لعملية التهريب التقليدي، وتتمثل أغلب هذه البضائع في تهريب الخمر والمخدرات والعملة والبشر، كما نجد بعض المواد الغذائية المدعمة والأدوية ،وهذا ما يؤدي إلي خلل في التوازن الاقتصادي في الخزينة العمومية ،وفي نفس الوقت نجد استيراد سلع صينية مغشوشة ومقلدة وغير مطابقة للمواصفات الوطنية ،يتم ترويجها كسلع جيدة وأصلية كل هذه المعاملات لها اثار على المجتمع التونسي، اقتصاديا واجتماعيا وصحيا، ولكن هذه البضائع ساهمت في ثروة طائلة لدى جماعات كانت مهمشة وتحولت في وقت وجيز إلي أثرياء كل هذه العوامل أدت إلى اتساع رقعة التميز الاجتماعي والأخلاقي في الجهة وكانت لها تأثيرات كبيرة في منظومة القيم السائدة في مجتمع الدراسة، خاصة على الشباب المهمش حيث ساهم الإحساس بالنقص في دخول بعض الشباب في هذه المغامرة الخطيرة مما جعلت البعض منهم فريسة لبعض المنظمات الإرهابية أو عرضة إلى الموت في أي لحظة، ورغم ما تناولته بعض الدراسات السابقة من التأثيرات الاقتصادية على المنطقة حيث ساهمت ظاهرة تجارة الحد في تداعيات كبيرة على البنية الاجتماعية حيث تبين بعض الإحصائيات إلي تيتم عديد العائلات من جراء المطاردة ، كانت أغلبهم من شباب الجهة كما ساهمت هذه التجارة بشكل كبير في ظاهرة الانحراف والانقطاع المدرسي المبكر ، حيث كانت أخر الإحصائيات لسنة 2022 مرتفعة جدا مقارنة بي بقية الإحصائيات الفرطة كما ظهر الثراء الفاحش بشكل واضح عن بعض الفئات التي كانت بالأمس القريب مهمشة ومن خلال الملاحظة المباشرة لاحظنا هؤلاء الفيئة الجديدة تملك السيارة الفخمة والإقبال الكبير عن محاولة اقتناء بعض المحالات التجارية في بعض المناطق المجاورة ،والظهور بتلك التميز الاجتماعي على مواقع التواصل الاجتماعي والإسراف الشديد في كل المناسبات الاجتماعية كل هذه العوامل مست القيم الاجتماعية للمجتمع التقليدي، وساهمت بصعود تلك الطبقة المهمشة اجتماعيا وثقافيا وأصبح التلميذ ينظر لهؤلاء

الشباب الذين أصبحوا اثرياء كأنهم قدوة في المجتمع وأصبح الصراع قائم بين المتعلم والجاهل ولكن الجاهل يملك المال الفاسد وبذلك حاولت هذه الطبقة الصاعدة بالدخول في معترك السياسة، الأمر الذي نتج عنه صعود هذه الطبقة إلي بعض المراكز الاجتماعية وهذا ما أدى الي التأثير على بعض التلاميذ وكان سببا في الانقطاع المدرسي حيث أصبح بعض التلاميذ يعيشون حالة صراع وتناقض في فاعلية القيم التي اكتسبوها من خلال التنشئة الاجتماعية ومع الواقع الاجتماعي الذي يعيشونه مما أدى عديد المشاكل الاجتماعية وأصبحت (*المجتمعات السرية تتشكل هو اعتبار أنها تجمّعات مصالح* (*Le problème de la sociologie"* - *Simmel, G ,in Sociologie et Leptologie*, PuF,1981 وهذا ما لاحظناه في المجتمع المدورس حيث اعتمدنا في بحثنا هذا على 30 عينة من شباب الجهة وكان أغلبهم دون سن العشرون وهم في شكل مجموعات وذلك بالاعتماد على المنهج الكمي من خلال استمارة الاستبيان لمعرفة عديد الإشكاليات التي لها تأثيرات اقتصادية على المنطقة وبعض المشاكل الأخرى الاجتماعية عبر الشريط الحدودي ذهيبة بنقردان حيث استنتجنا من خلال هذه الإحصائيات التي تحصلنا عليها غبر تقنية الاستمارة أن جلهم من مستوي تعليمي ثانوي وابتدائي ويعتبرون التهريب هو الحل للهروب من التهميش والفقر وهذه عينة من المجتمع المدروس

1-1 المعطيات الديمغرافية

- توزيع العينة حسب النوع

تتنوع العينة على 28 ذكرا و2 إناث حسب الجدول التالي:

الجنس	العدد	النسبة المئوية
ذكور	28	%94
إناث	2	%6

جدول عدد 1 توزيع العينة حسب النوع

نلاحظ أن نسبة الذكور أكثر بكثير من نسبة الإناث حيث بلغت نسبة الذكور 94 % وهذا يدل على أن طبيعة النشاط التهريبي يتقنها الذكور أكثر من الإناث ويمثل الرسم التالي هذه النسبة:

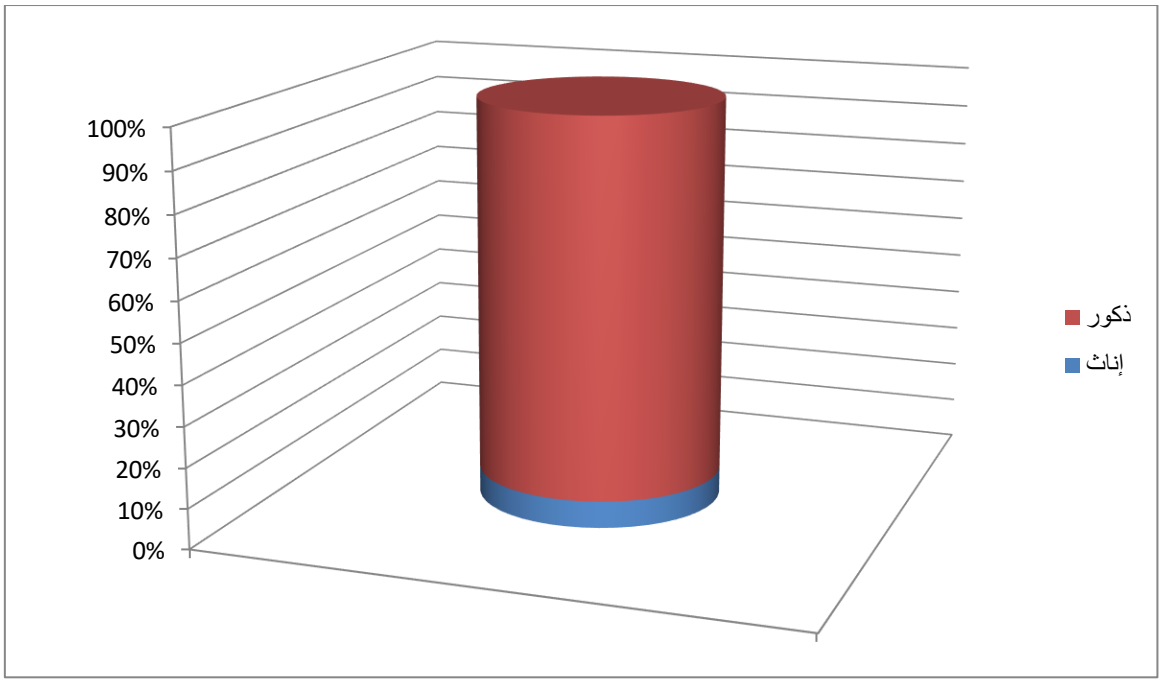

- توزع العينة حسب الفئة العمرية:

تتوزع العينة إلى 3 فئات عمرية كالتالي:

العمر	العدد	النسبة المئوية
أقل من 20 سنة	22	%73.5
من 20 إلى 30 سنة	07	%23.5
أكثر من 40 سنة	01	%03

نلاحظ أن الفئة التي يقل عمرها عن 20 سنة 73.5% والفئة التي تتراوح أعمارهم بين 20 و30 سنة 23.5% والفئة الأكثر من 40 سنة تمثل 3 %مما يبن أن الفئة الأقل من 20 سنة هم أكثر فئة وهم أغلبهم تلاميذ وأكبر نسبة يعتمدون نشاط التهريب من غيرها من الفئات وفي المقابل نجد اقل نسبة كهول. وهوما يفسر ارتفاع نسبة الأطفال بعمق تعاطي هذا النشاط كما يبينه الرسم البياني التالي:

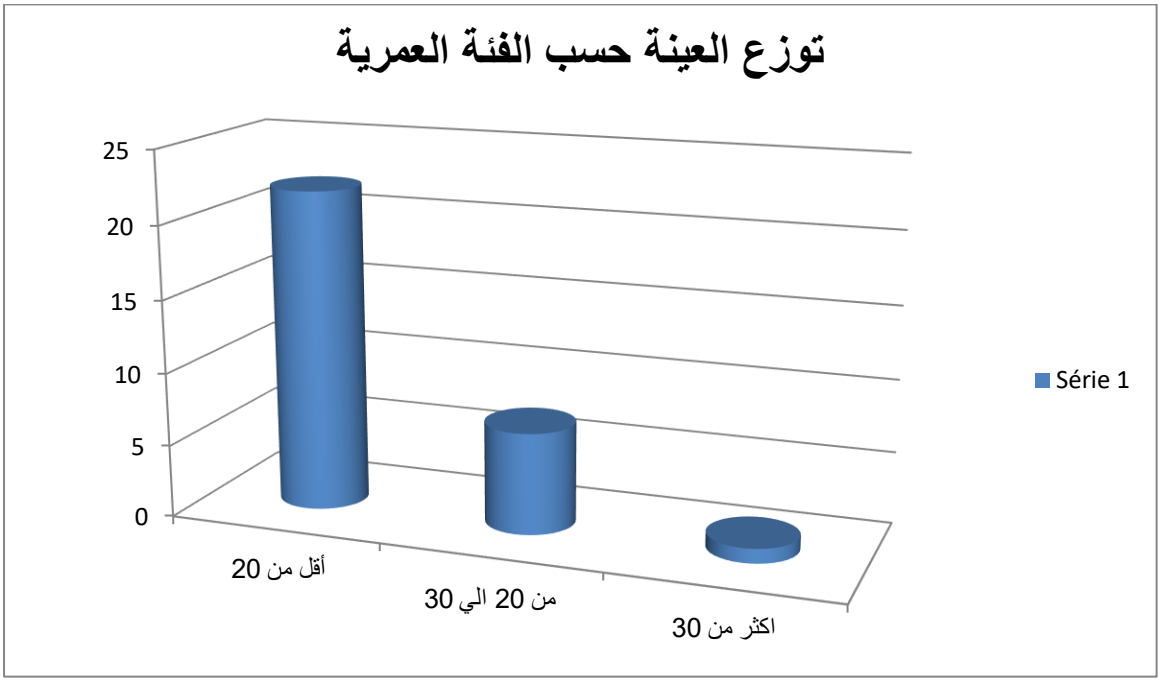

- الحالة الاجتماعية للعينة:

الحالة المدنية	بن قردان	ذهيبة	العدد الجملي	النسبة المئوية
أعزب / عزباء	**11**	**5**	**16**	**35%**
متزوج (ة)	**06**	**04**	**10**	**%33**
مطلق (ة)	**02**	**00**	**02**	**%07**
أرمل (ة)	**01**	**01**	**2**	**%07**

يمكن أن نستنتج أن أكبر نسبة ممتهني هذا النشاط هم شباب أعزب من جنس الذكور وذلك يعود إلى أن المجتمع المحلى بالجنوب لا يسمح للمرأة بالعمل الحر وخاصة في مجال التهريب الذي يتطلب شجاعة واقدام.

- المستوى التعليمي للعينة:

المستوى التعليمي	بن قردان	ذهيبة	العدد الجملي	النسبة المئوية
أمي	02	03	05	16.66%
ابتدائي	03	05	08	26.67%
ثانوي	09	02	11	36.67%
جامعي	06	00	06	20%

بالرجوع إلى الجدول السابق تلاحظ تفاوت في المستوى التعليمي للعينة المدروسة من ممتهنين تجارة التهريب حيث مثل المستوى الثانوي النسبة الأكبر حيث بلغت 36% كما تفاوت عددهم بين المنطقتين ذهيبة وبن قردان وهو ما يفسر بالتفاوت عدد سكان كل من المنطقتين والتفاوت في نسبة البطالة.

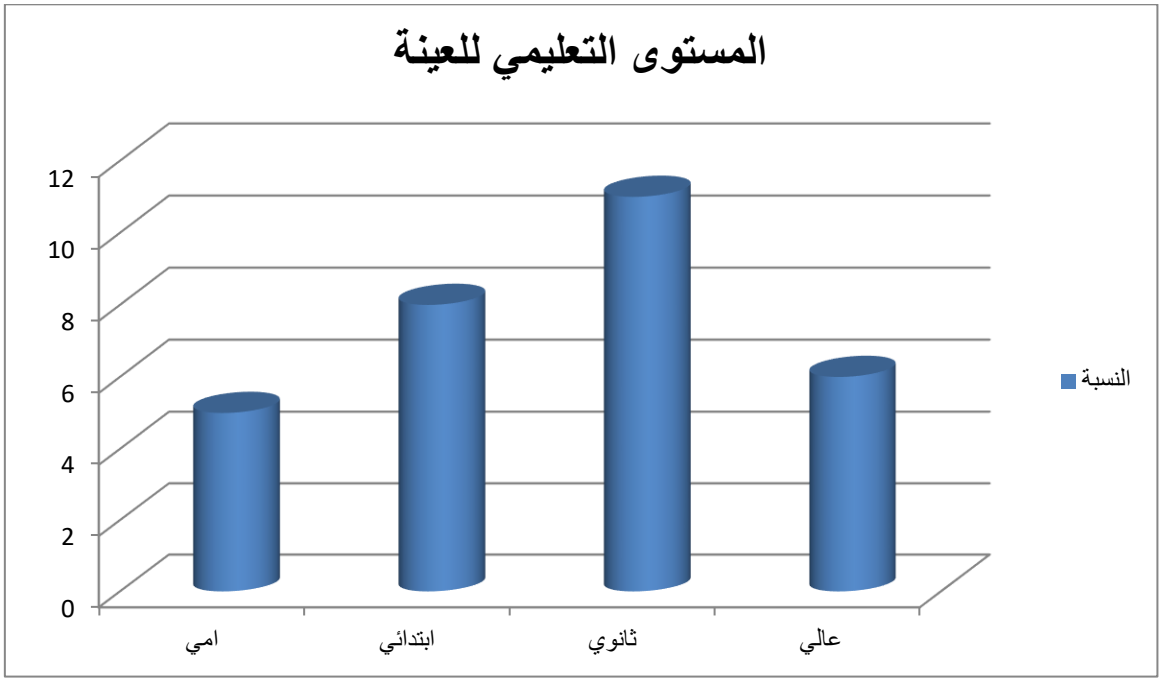

هل نشاط التهريب هو المهنة الوحيدة؟ :

محاولة منا في البحث عن هل يعتبر التهريب مصدر الرزق الوحيد للعينة أم أنهم يتعاطون نشاط موازي للتهريب. فكانت النتيجة كما هو مبين في الجدول التالي:

الاجابة	بن قردان	ذهيبة	العدد الجملي	النسبة المئوية
نعم	18	10	28	94%
لا	02	00	02	6%

من خلال الجدول يتبين جليا أن الناشطون في مجال التهريب يعتمدون اعتمادا كليا علي هذا النشاط ويعتبرونه مصدر رزقهم الوحيد فيما تمتهن أقلية ضئيلة لتحسين مستوى المعيشي دون الاعتماد علي هذا النشاط كليا.

- علاقة التهريب بالوضع الاقتصادي:

الإجابة	بن قردان	ذهيبة	العدد الجملي	النسبة المئوية
نعم	**16**	**2**	**18**	**60%**
لا	**04**	**8**	**12**	**40%**

نلاحظ أن نسبة الإجابة النافية والمؤكدة للارتباط التهريب بالوضع الاقتصادي للبلاد متقاربة وهو ما يتميز ارتباط المتأرجح للتهريب بالاقتصاد. الذي تحكمه نوعية البضاعة المهربة وإمكانية تسويقها بالسوق الداخلية.

نلاحظ نسبة الأجوبة بنعم تساوي 60 %ونسبة الإجابة بلا تساوي 40% وهو ما يدل أن نسب المهربين الذي يعتبرون أن هناك ارتباط وثيق بين تهريب بالاقتصاد مساوية نوعا ما لنسبة النسبة الذي يعتبرون أن لا علاقة للتهريب بالاقتصاد

وهذا المثال خير دليل على نسبة دوران الاقتصاد المرتبط بالتهريب.

هل تعتبر بأن وضعك المهني يتأثر بـــــــــــ:

الوضع	بن قردان		ذهيبة		العدد		النسبة المئوية	
	نعم	**لا**	**نعم**	**لا**	**نعم**	**لا**	**نعم**	**لا**
الوضع الاقتصادي بتونس	02	18	01	09	03	27	%10	%90
تقلب الأوضاع في تونس	6	14	02	08	08	22	%27	%73
تقلب الأوضاع في ليبيا	18	2	02	08	20	10	%67	%33
تقلب العلاقات بين تونس وليبيا	12	8	02	08	14	16	%47	%53

يمكن القول بآن التهريب يتأثر بتقلب الاوضاع في ليبيا حيث تعتبر البضاعة غير مؤمنة في الطريق نظرا لكثرة المليشيات وقطاع الطرق وفي نفس الوقت بأن حدّ من تقلب الاوضاع في ليبيا تأثر العلاقات التونسية الليبية

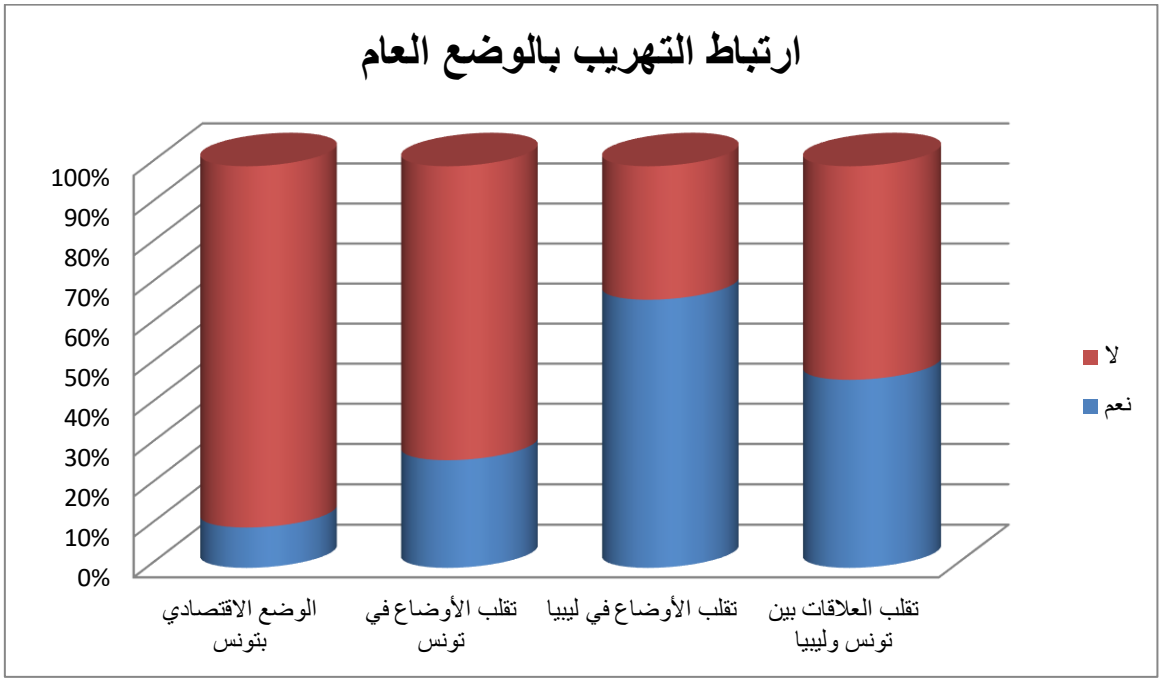

ـ تقيم الوضع الاقتصادي بالجهة :

	بن قردان	النسبة المأوية	ذهيبة	النسبة المئوية
جيدا جدا	9	%45	0	%0
جيد	8	%40	7	%70
متردي	3	%15	2	%20
متردي جدا	0	%0	1	%10

يعتبر الوضع الاقتصادي جيد جدا وجيد وذلك لارتفاع قيمة المرابيح ونظرا للحركية المستمرة للنشاط التجاري الذي يشهده السوق فيما يعتبر 3% وصفوا الوضع بالمتردي ربما لأنهم لم يحالفهم الحظ ووقعوا في قبضة الديوانة لمرات عديدة. أما في ذهيبة يعتبر جيد لنسبة كبيرة وذلك لما يوفره نشاط التهريب من مرابيح في تنقله والعبور منها.

إجمالا يمكن نلخص الوضع بالجدول التالي:

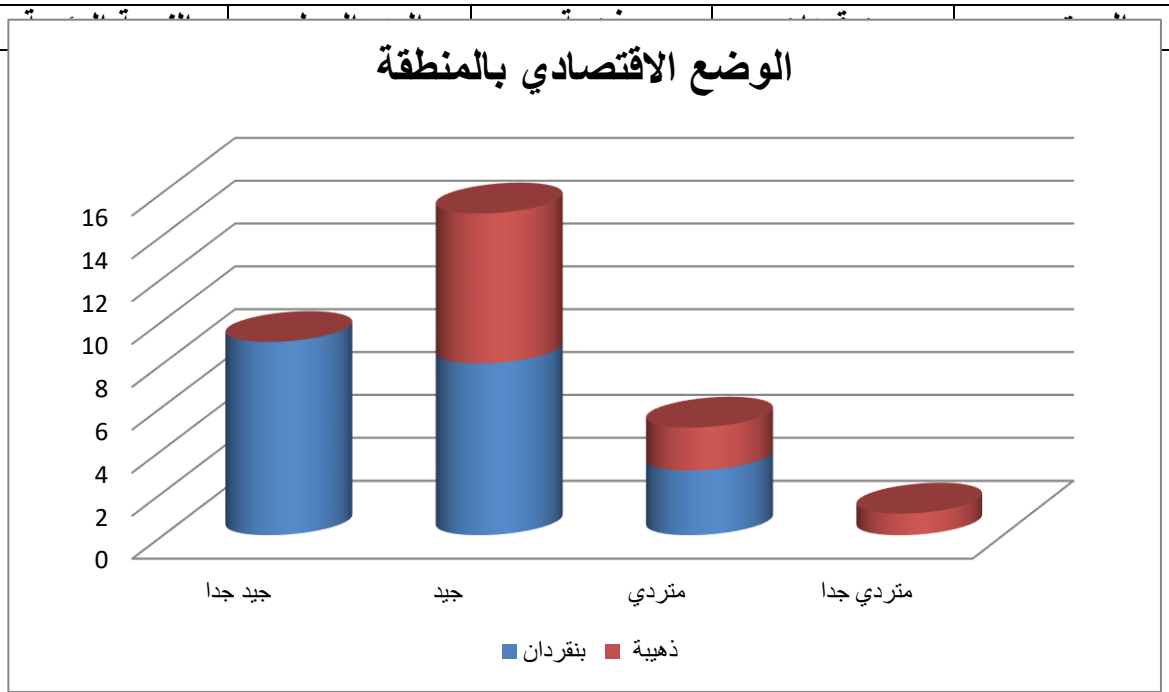

جيدا جدا	9	0	09	%30
جيد	8	7	15	%50
متردي	3	2	05	%17
متردي جدا	0	1	01	%03

- ازدهار المنطقة متوقف :

	بن قردان		ذهيبة		العدد الجملي		النسبة المئوية	
	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا
السياسة الاقتصادية للدولة ورجال الاعمال	18	02	10	00	28	02	94 %	%06
استمرار التبادل مع ليبيا	17	03	08	02	25	05	%84	%16

يعتبر اغلب المهربين أن ازدهار المنطقة متوقف على سياسة الاقتصادية لدولة ورجال الاعمال وفي نفس الوقت لاستقرار التبادل مع ليبيا.

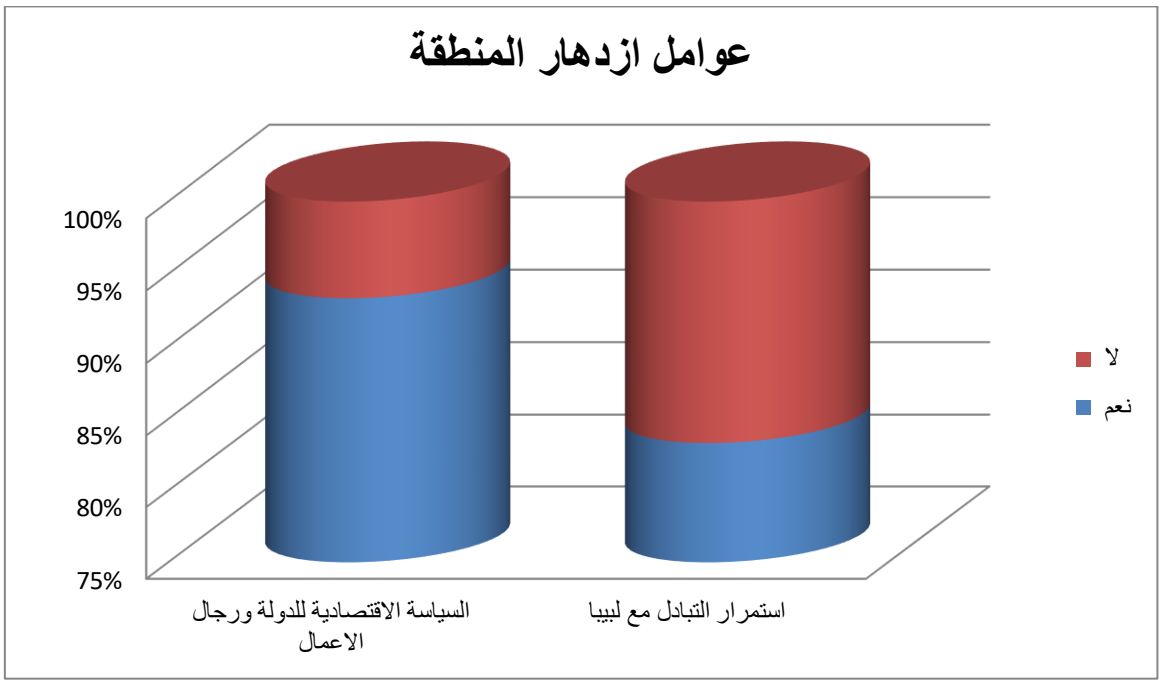

يعتبر اغلب المهربين أن سهولة اجتياز الحدود يعود إلى انتشار الرشوة وغض الطرف عن التهريب باعتبار انه لا توجد موارد رزق أخرى غير التهريب.

- دور التهريب في تدني النتائج المدرسية

يعتبر التعليم الركيزة الأساسية لثقافة المجتمع فهو إحدى أبرز مقومات الصعود الاجتماعي والثقافي إلا ان التهريب والمال الفاسد كان له الدور السلبي وانعكاسات خطيرة على الشباب اليوم في المناطق الحدودية وهذا ما ساهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في الانقطاع المدرسي.

- إحصائيات الانقطاع المدرسي لسنة 2023/2022

الانقطاع في معتمدية بن قردان سنة 2023 (اعدادي/ثانوي)

المدرسة	العدد	النسبة المئوية
م.إ. طريق المستشفى بنقردان	23	%5.9
م.إ. أبو القاسم الشابي ببنقردان	22	%5.7
معهد ابن حـزم طريق المرسى بنقـردان	34	%8.8
م.إ. ابن ابي الضياف حي الشارة بن قردان	22	%5.7
م.إ. ابن شرف ببنقردان	36	%9.3
م.إ. ابن عرفة ببنقردان	24	%6.2
م.إ. الطابعي بنقردان	31	%8
م.إ. ابن سينا بالشهبانية	6	%1.5
معهد بنقردان 2	22	%5.7
معهد ابن حـزم طريق المرسى بنقـردان	26	%6.7
معهد بنقردان	98	%25.4
معهد ابن الهيثم بنقردان	33	%8.5
معهد ابن خلدون ببنقردان	8	%2
الجملة	385	%100

- المصدر الإدارة الجهوية لتربية بولاية مدنين

تمثل هذه البيانات عدد إحصائيات الانقطاع المدرسي في معتمدية بنقردان لسنة 2023 حيث يمثل عدد التلميذ المنقطعين عن الدراسة في المدارس الإعدادية والثانوية 385 تلميذ وهذه النسبة تعتبر كبيرة مقارنة بالسنوات الأخيرة وهو ناتج عن ضعف دورة الأسرة وغياب الأخصائي الاجتماعي، ودخول بعض الشباب في هذه الظاهرة الهجرة نحو أوروبا بشكل كبير حيث استنتجنا من خلال المقابلات مع بعض المبحثين إلي دخول هؤلاء التلميذ إلي سوق التجارة البينية لجمع المال لتنظيم الرحالات إلي فرنسا وقد بينت لنا بعض المقابلات مع بعض الأولياء الذين ساهموا في تشجيع أطفالهم إلي الهجرة إلي اروبا وهم دون سن 18 سنة وذلك لضمان دخولهم إلي منظمات حماية الطفولة والبحث عن طرق لتمكينهم من أوراق الإقامة بعد سنتين من التكوين. حيث يقول (س،م) "بعثت ابني في عمر 56 سنة لكي يضمن مستقبله نظرا لأن دولتنا لم يعد فيها مستقبل " كما يقول (س،غ) ان الوضع العام و الظروف الاجتماعية جعلت ابني لم يعد مهتم بالدراسة وقد أشتغل في التجارة وجمع المال للهجرة إلي فرنسا " كل هذا يترجم دور الأسرة في تشجيع الأطفال عن الانقطاع المدرسي وهو ما نتج عنه دخوله في التجارة البينية وهي وسيلة لجمع المال وهو ما نتج عنه نتائج سلبية في الدراسة يؤدي ذلك لانقطاع المبكر وهي نتيجة ذات دلالة سوسيولوجية تعبر وتكشف عن غياب الشبه كلي لمسؤولية الآباء اتجاه أبنائهم في تكوين مسارهم الدراسي. ويمكن القول إن الفشل الدراسي بالفضاء الحدودي بالجنوب التونسي له عدة أسباب وعوامل منها النفسي والاجتماعي والاقتصادي الطبقي فلقد أجتاح ظاهرة الفشل المدرسي المجتمع المدروس في السنوات الأخيرة وتفاقمت أشكالها إلى أن صارت تتشكل ظاهرة واستوقفت المسؤولين والباحثين وملأت بيوت الناس ولعلي نسبة الانقطاع المدرسي المبكر لأطفال القصر وهذه الإحصائيات خير دليل على تنامي هذه الظاهرة بشكل مفزع مما ساهم في بروز مفاهيم جديدة كالتحيل والتكيف والتبرير(الناشئ،

محمد (2014): مدخل إلى السوسيولوجيا البراغماتية، ترجمة ميلود طواهري، سلسلة نديم للترجمة، ابن نديم للنشر والتوزيع ـ الجزائر، الطبعة 1) كما نتج عنها ظواهر أخرى في السنوات الأخيرة وهي ظوهر مسكوت عنها خاصة "هجرة الأطفال القصر " من المدارس إلي أرويا حيث بينت بعض الإحصائيات عن المركز العربي لحقوق الإنسان في بعض الدارسات السابقة أن نسبة الأطفال ما بين سنة 2019 إلي 2021 تتجاوز 1500 طفل مهاجر كما أنها أصبحت ظاهرة متفشية لدى كل العائلات في الجنوب (مثال هجرة العائلات) وإن كان لهذه الظاهرة جذور تاريخية بين ليبيا وتونس لكن دوافع انتشارها نحو أوروبا في الفترة الأخيرة أصبح يبعث القلق ويستدعي التدخل وهو راجع بالأساس إلي جملة من التحولات التي عرفها المجتمع التونسي الحديث والمعاصر والتي ترتبط بأسباب عديدة حيث يوجد تتداخل فيما بينها منها ما يتعلق بالتلميذ ومنها ما يتعلق بالأسرة ومنها بالمدرسة ....فهذا الانقطاع المدرسي المبكر بهذا المجتمع المدروس له أسباب عديدة سوسيولوجية مرتبطة بالتنشئة الاجتماعية التي تتصل خاصة بالسياق الاجتماعي والثقافي والاقتصادي حيث أنّ المناطق الحدودية التي تميزت بالانقطاع الدراسي المبكر لم تعد فضاء جاذبا للدراسة بل إن جمع المال بطرق سهلة وسريعة أصبح هو الهدف للجميع وقد ساهمت التجارة الموازية في ذلك لأنّها خلقت جملة من الاستعدادات النفسية والاجتماعية لدى التلاميذ لممارستها في فترة عمرية مبكرة ونجد ذلك في جملة من التمثلات الاجتماعية المرتبطة بالعلاقة المدراسية التي لم تعد مصعدا اجتماعيا للمجتمع المحلي الحدودي حيث أصبحت تحكمه أنظمة التجارة البينية. عبر مجتمع الشبكات (Casteels Manual(2001), la société en réseau, l'ere de l'information, Edition Foyard, Paris, p576 حيث شهدت التبادلات التجارية تطورا كبيرا على الحدود الصحراوية، خاصة عبر تقنيات التواصل المتطورة ولعل هذا يؤكّد الانفلات الأمني على الحدود إثناء الثورة الليبية والتونسية، هذا الفراغ الأمني ساهم في انتشار الميليشيات والجماعات على الحدود وذلك باستيراد كل البضائع بغض النظر عن نوعها. حيث اثبتت بعض النتائج من خلال هذه الدراسة عن كثرة الفساد والرشوة عبر الحدود البرية وهذه ظاهرة خطيرة رغم ما توفره من حلول لدولة ولتشغيل بصفة عامة وهي تعتبر التجارة الموازية أو ما يصطلح على تسميته محليا " تجارة الخط "وهي نوعا من التجارة التي يصنفها ممارسوها بأنها "مشروعة" وحق مكتسب يفرضه الموقع الحدودي في ظل غياب المشاريع التنموية، فهي ولئن كانت تجارة تمارس بدون ترخيص قانوني، وما يعنيه ذلك من تهرب من دفع الضرائب للدولة الا أنها تسعى في المقابل لفرض فكرة "الحق الشرعي" وغطاء المشروعية يدافع عليها أصحابها بطرق مختلفة وبأساليب متنوعة ،خاصة عند تصبح هي وسيلة لإخفاء بعض المواد الخطيرة

ـ الخاتمة:

تنعكس دور الأسرة والتنشئة الاجتماعية علي الأطفال في جمع المال السريع وفي ظرف وجيز سلبا على قيم حب العمل ويساهم في بروز قيمة سلبية لدي الأطفال في عمر الزهور حيث اثبتت هذه الدراسة الميدانية مساهمة هؤلاء الأطفال في هذه الظاهرة وهذا من شأنه أن يساهم في انتشار النزعة المادية والبحث عن الثراء بدون جهد وهو ما يساهم في انتشار الانتهازية ويؤدي إلي طغيان القيم الذاتية للمصلحة الشخصية على حساب المجموعة الوطنية فالتهريب يساهم في تغير سلوك الفرد ويصبح يتعامل مع الآخرين حسب المصلحة الذاتية وهذا ما يساهم في التميز بين الطبقات الاجتماعية وفي تراجع القيمة التعليمية، وهو ما لاحظناه من خلال بعض المصادر، لدي مجتمع الفضاء الحدودي حيث إن ظاهرة الانقطاع المدرسي أصبحت تتطور بالجنوب التونسي وتتطبع مع جملة من الممارسات الأخرى وقد ساهم فيها بدرجة أولي الأصل الاجتماعي الذي ينتمي إليه التلميذ الذي يحاكي الأب والأصدقاء، حيث

أنه أصبح يجلس مع زملائه ويتحدثا إلا على مغامرات التهريب وجمع المال من تجارة الحد والبحث عن الهجرة وأصبحت الأسرة كطرف في هذه العوامل وهذا ما يثير الجدل فأصبحت الأصول الاجتماعية هي المحددة والمساهمة في هذا الفشل بين طبقة تبحث عن النجاح بأي طريقة وطبقة أخري تبحث عن كيفية جمع المال بشكل واسع. حيث أصبحت هذه الظاهرة مصعدا اجتماعي بالجهة وأصبح يعتبر نشاط الحد من أهم الأنشطة الاقتصادية التي ساهمت في تطور الاقتصاد غير المهيكل، وهي ظاهرة ليست وليدة الراهن، بل وجدت في المناطق الحدودية بين تونس وليبيا منذ القرن التاسع عشر على امتداد سنوات، لكن كان لها تأثيرات كبير مدمرة علي الجانب التعليمي والثقافي والصحي حيث سامت هذه الظاهرة في اختلال القيم الاجتماعية بهذا الفضاء وانتشرت بذلك عديد الظواهر واصبح ظاهرة التهريب والربح السريع مهما كانت وسيلة للوقاية من التهميش وللهروب من الفقر وأنتجوا ثقافة ومنوالاً اقتصادياً خاصاً بهم وهذا ما سمح بجني أمول طائلة مكنتهم من تعزيز السلع، وتصديرها وتوريدها بطرق غير قانونية وتغيرت المفاهيم وأصبحت التجارة التقليدية تجارة المحرمات مما أثار مشاكل اجتماعية مدمرة وهو ما أنتج تحولا سريعا وعميقا في البنية الاجتماعية و التفكك الأسرى ومن هنا تبرز الحاجة للفاعلين في المجتمع ومؤسسات الدولة للتصدي لهذه الظاهرة غير المشروعة والتي أصبحت لها انعكاسات خطيرة على المجتمع.

1- المراجع باللغة العربية:

-بالطيب، محمد الناصر (1998)، بن قردان بين التاريخ والتراث، المطبعة الرسمية الجمهورية التونسية، تونس.

-برنفكار، ليون(2012)LEON PERVINGUIRE أسرار الحدود التونسية الليبية 1911 دراسة وترجمة الضاوي موسي ، مطبعة تونس قرطاج ،

-التائب، عائشة، (2007) المناطق الحدودية بالمغرب العربي، ضمن كتاب "التنوع والتماثل «، أعمال الندوة الإقليمية اليونسكو، تونس 26.27.28 أفريل، إشراف عبد الوهاب حفيظ سلسلة العلوم الاجتماعية عدد28، سيرأس تونس.

-كتاب جماعي (2010)"علم الاجتماع: من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية ـ دمشق، الطبعة 1، 2010.

-الناشئ، محمد (2014): مدخل إلى السوسيولوجيا البراغماتية، ترجمة ميلود طواهري، سلسلة نديم للترجمة، ابن نديم للنشر والتوزيع ـ الجزائر، الطبعة 1

2-المراجع باللغة الأجنبية:

BoltanskiLuc (2011) ; On Critique: A Sociology of Emancipation, Xibcrras, - *Ellafi*, Jilani, *Organisation d'un tribu sud* Martine, *Les Théories de l'exclusion tunisien*.

- Castells Manual(2001), la société en réseau, l'ere de l'information, Edition Foyard, Paris, p576

- GéraradVekna et al : *la grande triche_ethique, corruption et effaires international*. Edition la découverte, Paris p76

- Goffman Irving La mise en scène de la vie quotidiene ; *la présentation du soi, les* Editions de Menu ite, 1973

- Max Weber,*Essais sur la théorie de la science*, Plon, Paris, 1967

- *Simmel, G ,**in Sociologie et Leptologie**, "Le problème de la sociologie*", PuF,1981